يحاول التوازن على أيام تترنح

عمر محمد العمودي

مدارك

تمت رقمنة هذا الكتاب ضمن برنامج النشر الرقمي

هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission

يُحَاوِلُ التّوَازُنَ عَلَى أيَّامٍ تَتَرَنَّح!

عمر محمد العمودي

ردمك: 9786144296196

إلى

مجهولي العالمِ

مَن يلمُّونَ أسماءَهم مِن رقعةِ الوجود ..

ويبحثونَ عن فراغٍ متاحٍ

في العدم!

لأنّ لا طريقةٌ أخرى

أستطيعُ أن أَنصَبَّ بها كاملًا؛ أكتبُ

لأنّ صوتي في الضجيجِ تلاشى؛ أكتبُ

لأنّي ولدتُ خجولًا في بيئةٍ

إذا حملتَ البندقيّةَ فيها لن يسألَكَ أحدٌ،

وإذا أمسكتَ بوردةٍ، سيلاحقُك الجميعُ بالأسئلةِ!

لأنّي لا أعرفُ أيّةَ إجابةٍ؛

لا أملكُ إلّا أن أكتبَ

ولأنّ لا طريقةٌ أخرى

لتعرفي من أكونُ، وما أريدُ،

ولماذا أقفُ على مَقرُبةٍ منكِ،

وأتبعُكِ، وأرمقُكِ ...

وما الذي يجعلُني أعجزُ

عن اتّخاذِ الخطوةِ الأخيرةِ نحوَكِ؛

أريدُ أن تقرأيني!

داخلي لا يسعُني، وأنتِ لستِ معي!

وحيدٌ... ونافذةٌ وحيدة!

ما لا يُمكنُهُ الرماد

أنتَ تسرعُ في الخطوِ

لا لتدركَ الوقتَ، ولكن

لعجزِكَ عن السيطرةِ على ماهيّتك،

تلك التي تقودُك إلى ما لا تفكّرُ بالذهابِ إليه،

نحو ما ستجدُ نفسَك فيه دون أن تدركَ ماهيّته.

أنتَ تتعجّلُ دومًا

لا رغبةً بقبلةٍ، ولا طمعًا بعناق

بل اشتهاءَ عتبٍ لانصرافِك باكرًا،

رغم حضورك الطويل،

الذي تسبَّبَ بهِ مجيئُك الباكرُ جدًا

أنتَ الذي حين رأيتَها تلتفتُ إليكَ، تهيأتَ

وحينَ رأيتها تحدق فيكَ، خطوتَ

وحينَ سارت نحوكَ، وصلتَ

وحينَ ابتسمت لكَ، عشقتَ

وحينَ تحدَّثت إليكَ، همتَ

وحينَ همست في أذنِك، اشتعلتَ

وحينَ رغبت هيَ، انطفأتَ أنتَ

وحينَ اشتعلت هيَ، كنتَ رمادًا

والرمادُ لا يمكنُهُ الحبّ أبدًا!

دَاخلي لا يَسعُنِي!

إنّها معضلةٌ

أن أجيءَ قليلًا، خفيفًا

وأغادرَ بأكثر ممّا أحتملُ

إنّهُ مأزقٌ أن أحصلَ على كلّ شيءٍ

دون أن أقدّمَ شيئًا

إنّها ربكةٌ أن أجدَكِ قبالتي

بمجرّدِ أن تخطري عليّ كفكرةٍ

إنَّهُ تعبٌ... ألّا أتعبَ!

أنا لم أطمئن أبدًا معكِ

داخلي لا يسعُني، وأنتِ بعيدةٌ...

وبجانبِكِ

أكونُ فضفاضًا عليّ!

رغبةٌ بالوجودِ

أنتِ لا تعودينَ إلا حين تجبرُكِ الأيامُ

على النظرِ إلى الخلفِ...

وحينها

لن أكونَ موجودًا.

لكنّي أخمّن بأنَّهُ ربّما ترغبينَ بإعادةِ الزمنِ،

بإعادةِ تجميع أوراقِ التقويمِ الممزّقةِ،

وبالانسحابِ من اللحظةِ

التي أردتِ القفز إليها مباشرةً

من أجل أن تتذوّقي ملَلَ الطريقِ البطيءِ...

ستحاولينَ التخلّي عن الغايةِ التي تمنّيتِ بلوغَها،

مقابلَ أن تستمرّي في الحلُمِ،

وأن تشعري أنكِ قريبةٌ منها دائمًا،

أن تألفي وهجَكِ الحالمَ

بدلًا من وصولٍ يقيّدُ خياراتِك

ويطفئُ ملامحَكِ الساخرةَ

عندَ الغضبِ، والشعورِ بالعجزِ.

ربّما تلحّينَ

على العودةِ لأيامٍ

أدركتِ _فيما بعد_

أنّ مشقّتها أجملُ من راحةٍ

لا تناسبُ الزخمَ الكامنَ في عينيكِ

واندفاعَكِ الذي لا تستطيعينَ كبحَهُ...

حينها

يا حبيبتي،

سأكونُ موجودًا.

صفوٌ

أنظرُ إلى العالمِ من شرفتي

أتمعّنُ فيهِ

زاويةً...

زاويةً...

ولا يعجبُني كونهُ مشوّشًا ومخادعًا.

أتركُهُ لأنظرَ إليكِ، كمن يمسحُ نظارَتَهُ

وأتفرّسُ في ملامحكِ، كمن يختبرُ رؤيتَهُ

فيُؤكدُ لي الجزءُ المفقودُ من نابكِ،

هذا الذي لم يلمحْهُ أحدٌ سـواي،

بمن فيهم أنتِ قبل أن أخبرَكِ

وحبّةٌ برزت على ذقنِكِ،

لم تكن أمس موجودةً،

وشعرةٌ منسدلةٌ

على خدّكِ؛

بأنّي سليمُ النظر

أحدّقُ في وجهِكِ كاملًا،

وأبتسمُ

لكوني أيضًا، عالي الذائقة.

ومن ثمَّ أعيدُ النظرَ مجدّدًا إلى العالمِ،

فيُعجبُني

كونهُ مشوّشًا، ومخادعًا

يُعجبُني

كونهُ رماديًّا، وغيرَ واضح!

أُريدُكِ!

أريدُكِ

لا لأشعر بشيءٍ ما...

ولكن لأحبَّ ما أشعرُ بهِ أيًّا كان.

أريدُكِ

لا رغبةً بارتياحٍ،

ولكن احتياجًا للخضرةِ والحياةِ،

لأنّني دفترٌ يمشي باهتًا

وغير واضحٍ

ولأنَّكِ تُضفينَ ألوانَكِ عليَّ

فأغدو واضحًا.

أريدُكِ

يا كلَّ ابتساماتِ الوحيدِ

يا معنايَ الذي أهتدي لهُ حينَ أتوهُ

يا مجرايَ حيثُ لا أجدُ مجرىً يسعُني

يا كفّي التي تمسكُ بي

عندما أقتربُ من التداعي

يا أملًا لا تحمرُّ إشارتُهُ في الحياةِ

يا حلمًا يقودُني بنفسِهِ إليهِ،

أريدُكِ

أريدُكِ

وإن كان ثمَّةَ حلمٌ بيدي، أُفلتُهُ لأمسكَ بيدِكِ

وإن كان ثمّةَ ضوءٌ لا يُرشدُني إليكِ

أتخلّصُ منهُ، وأهتدي إلى ظلامِك!

نهايةٌ لا تُقاوم

هناكَ وسائلُ عديدةٌ لقتلي...

عدا النيرانِ إيّاكِ أن تستخدميها؛

إن لم تزعجكِ رائحةُ ٱحتراقي، سيُؤذيكِ اللهيب

الرصاصُ، السكاكينُ، واستخدامُ الحديدِ،

وسحقي بسيارةٍ مسرعةٍ،

ليست خياراتٍ مناسبةً لكِ

أعرفُكِ جيّدًا،

لا تحتملينَ رؤيةَ الدماءِ؛ سيُغمى عليكِ

ولن تستطيعي محوَها من سطحِ عينيكِ

كما أنّهُ لن يكونَ بمقدورِكِ التخلّصُ

من مسرحِ الجريمةِ...

أنتِ أيضًا تخافينَ المرتفعاتِ،

ستفقدينَ توازنَكِ من الهلعِ

قبل أن تقومي بدفعي

من على السطحِ.

ربّما تبدو فكرةُ التسميمِ جيّدةً؛ لكنَّ

غلَّكِ أكبرُ من أن يهدأَ بميتةٍ تبدو وكأنَّها حادثةٌ...

إنّها طريقةٌ لا تشفي الغليلَ.

دعينا نبحثْ عن طريقةٍ أخرى،

طريقةٍ مناسبةٍ وآمنةٍ لكلينا، أكثر طريقةٍ ستريحُكِ،

وستؤدّي المهمّةَ بنجاحٍ، وأيضًا ستناسبُني.

ربّما لا توجدُ أمامَنا

سوى طريقةٍ واحدةٍ فقط،

وهي أن تخنقيني بكلتا يديكِ!

بإمكانِكِ فعلها بسهولةٍ

ما دمتِ ستلتصقينَ بي، وتملئينني بأنفاسِكِ،

وعيناكِ شاخصتانِ بعينيّ،

ويداكِ مُمسِكتانِ بعُنُقي

في اللحظةِ الخالدةِ تلكَ،

وأنتِ تقضمينَ شفتَكِ غِلًّا،

وملامحُ النصرِ ترتسمُ على وجهِكِ

صدّقيني، لن أُفكّرَ بالإفلاتِ

ولن أتحاشى تأمُّلَكِ...

لن أستطيعَ رفضَ ميتةٍ كهذهِ؛

إنّها نهايةٌ لا تُقاوم!!

تقلّصَ

لأنّي أسأمُ التقيّدَ بفكرةٍ؛

أشعرُ بأنّي محاصرٌ في وطنٍ منغلقٍ تمامًا،

وفي مجتمعٍ فسيحٍ بما يكفي

ليكونَ مدينةً محاطةً بسياجٍ...

وفي بيتٍ من دونِ شرفة!

لأنِّي أحاولُ أن أكسرَ القيد؛

لا أغلقُ الأبوابَ من بعدي،

ولا أسدلُ الستارَ على النوافذِ

ومن تلكَ التياراتِ الهوائيَّةِ

أستمدُّ أملي، وشغفي باختراقِ الحدودِ

من ذلكَ الحفيفِ أشحذُ صوتي الداخليَّ،

فأظلُّ غير راغبٍ بالاكتفاءِ!

بابُ الدخولِ إلى القلبِ متاحٌ

لكنَّ الطريقَ إليهِ،

لا يستطيعُ من يشاءُ أن يقطعَهُ

سوى من أريدُ

وبقدرِ ما أريدُ أن تدخلَ الأشياءُ عالمي،

بقدرِ ما أريدُ، بعدَها، أن تغادرَ

لأنّي اعتدتُ على أن أرى الحياةَ بعينيَّ،

لا من نظراتِ الآخرينَ

لأني اعتدتُ أن ألوِّحَ بيدٍ واحدة،

وأفتحَ كلّ بابٍ بيدٍ واحدة

وأربِّت على كلّ من رأيتُهُ باكيًا

بنفسِ اليدِ التي أصافحُ بها الجميعَ

أَحَبَّهم، وأَبغضَهم إليَّ

دون التخلّي عن معولي!

إلّاكِ، أنتِ

يا امرأةً اكتشفتُ، بغتةً، أنَّكِ فيَّ

تُقلّمينَ مخالبَ عالمي!

يا امرأةً

أرى من عينِها كم هي الحياةُ فسيحةٌ

وأنّي أصغرُ ممّا أظنُّ...

أُحبُّ؛ فأتقلّصُ!

يا امرأةً

اكتشفتُ، بغتةً، بعدَها أنّكِ في الخارجِ

تاركةٌ أثرًا خلفَكِ في كل خطوةٍ

قبلَ بلوغِ البابِ المواربِ

مخلبًا...

مخلبًا...

وحيدٌ، ونافذةٌ وحيدة!

كلُّ تلكَ الرسائلِ

لم تكن جسرًا...

لم تكن طريقًا...

لم تصل بي إلى ضفّةٍ ما،

ولا إلى مهجعٍ

في النهايةِ

ظلّت ترافقني كزورقٍ يبحرُ بجانبي،

لم يحاول تخليصي من عناءِ السباحةِ،

ولا إنقاذي من إصرارِ الوصولِ

لكنّهُ ظلَّ بجانبي،

ليشعرني بأمانٍ لم تستطع الطرقاتُ أن تصنعهُ

لكنّهُ فَشِلَ ...

وظللتُ أحاولُ مرتجفًا وحدي!

تلك الرسائلُ لم تكن بابًا،

أخرجُ، وأغلقُهُ ..

وينتهي الأمرُ

لكنّها كانت نافذةً بين فينةٍ، وأخرى

تجعلني أرى كلّ شيءٍ أمامي

من خلفِ السياجِ

القمرَ،

والليلَ،

والجسرَ،

واللا نهائيّة...

تلك الرسائلُ

كانت زورقًا لم أعبرْ معهُ،

ونافذةً كلّما نظرتُ لها؛

رغبتُ بالهروبِ!

لماذا أنتِ؟!

أنا مطمئنٌّ

أريدُكِ فقط، أن تعرفي هذا

أحبُّ أن تدركي مدى مقدرتِكِ

في السيطرةِ على العواصفِ

التي تحدثُ داخلي

أنا أدركُ ذلك جيّدًا، لكنّني لا أعرفُ لماذا؟

لم أجد إجابةً ثابتةً

عن هذا السؤالِ الذي يرافقني

في كلّ خطوةٍ، وابتسامةٍ، وضحكةٍ، وأغنية...

في كل التفاتةٍ، ومناجاةٍ، وتأمّلٍ

دائمًا أجدُهُ أمامي، باحثًا عن إجابتِهِ

"لماذا أنتِ؟"

ولأنّني لم أستطع الإجابةَ؛ أنا أيضًا أتساءلُ

"لماذا أنتِ؟!"

لماذا أنتِ، عند الذهاب إليكِ لا أنظرُ للمسافةِ

ولا أهتمُّ بالعوائق، ولا أبالي بالخطر،

ولا أحسبُ حسابًا للطريق؟!

وأنا المتوجّسُ من الكلمةِ،

والمتردّدُ من النظرةِ،

والمرتابُ من كلّ قطعةِ أرضٍ أضعُ عليها قدمي،

والجبانُ الجبانُ أمامَ المجازفاتِ!

لماذا أنتِ، عندَ سماعِ هتافكِ بآسمي؛

أحبُّ ذاتي، وأجلُّها

وأنا أوّلُ أعدائي، وأعتاهم، وأبغضُهم لنفسي؟!

لماذا أنتِ وحدك

من أرى نفسي في نوني عينيها،

وأنا الذي حطّمتُ مرايا عديدةً للحياةِ

لم أجدني فيها...

حتّى جزمتُ بكونيَ شفّافًا لا أُرى؟!

لماذا أنتِ، حين أسألُكِ

لا أكونُ أريدُ إجابةً، بقدرِ ما أُريدُكِ؟!

ضِدَّانِ!

هذا الصمتُ الكثيفُ بيننا

الذي يجعلني أسمعُ نبضاتِ قلبِك بوضوحٍ

وهي تزدادُ سرعةً كُلّما مرَّ الوقتُ

هذا الهدوءُ المكتظُّ في المكانِ

والذي يُمكّنُني من سماعِ وقعِ طرفِ فستانِك

على الأرضِ، وٱرتطامِ نظرتِك بالجدارِ

هذا التردُّدُ الهائلُ ..

الحذرُ من الٱقترابِ ..

الخوفُ من النطقِ ..

كبحُ الرغبةِ في وضعِ يدِ كلٍّ منّا على كتفِ الآخرِ

والسيطرةِ على أفواهِنا جيَّدًا

العودةُ إلى الوراءِ قليلًا

بعد أن نكونَ على وشكِ الٱلتحامِ ..

الهمسُ بصوتٍ

لا أحدَ منَّا يسمعُهُ

ومن ثُمّ التراجعُ

عن كلِّ اللحظاتِ التي تتطلّعُ إليها الرغبةُ بالحدوثِ

نحنُ القريبانِ

كضدّينِ في لفظٍ واحدٍ...

البعيدانِ

ما بيننا تأويلُ السياقِ!

مسافات غير مضمونة

هي المسافات دائمًا

الفاصلة بيننا

والتي لا أعرف كم تبلغ

وأين ستنتهي..

هذا الزقاق الطويل المؤدي إلى الليل

والذي لا يخترقه صوتي،

سيستحق المجازفة إن كان هناك أمل طفيف

في أن تكوني واقفة على نهايته..

لا أمانع مغادرة النهار

ولا التخلي عن ثوب الوضوح

ما دام ليلكِ سيتكفل بتغطيتي

وسيكون حاجزًا أمامي،

ولن يسمح للآخرين برؤية قلم عار

وقلب لزج،

وفم يختفي عند الحاجة..

هذا الدرب الطويل سأقطعه؛

ولكن أطلقي نظرة ..

اهمسي بكلمة ..

أرسلي قبلة ..

إمنحيني

ضمانة أنكِ لن تتقدمي، ولن تبتعدي ..

وأنني لن أفنى بالسير في طريقٍ

لن أقترب منكِ فيه!

فأنا عندما أنطلق

لا يكون الوقوف خياراً مطروحًا ..

لا تكون العودة أمراً متاحًا ..

ولا فكرة المحاولةِ ثانيةً

أخبِّئُها كخطة احتياطية

أذهبُ كُلّي، أصلُ كُلّي

أو لا يبقى شيءٌ منّي؛ ليفنى ...

لا يخدعُكَ وهجي... إنّهُ لا يحدثُ إلّا عندَ ٱقترابِك!

سوادُ

هذا الضوءُ لا يمثّلُني

هذا الوهجُ ليس تعبيرًا دقيقًا عمّا أشعرُ بهِ

لا أحسُّ بالألفةِ في الليالي المقمرة

أنا أحبُّ الليلَ الحالكَ، الذي أتحرّكُ فيهِ بحريّةٍ

وأفعلُ كلَّ ما أرغبُ بهِ، دونَ أن أتعرّضَ للرؤية

هذا الظلامُ لي، أرى منهُ دونَ استحياءٍ

أقفُ فيهِ دونَ خجلٍ

أبتسمُ داخلَهُ دونَ أن أخبّئَ براءتي

هذا السوادُ أنا،

وما تراهُ ليس إلَّا أنتَ

هذا الضوءُ الذي تراهُ فيَّ..

إنَّهُ لكَ!

ما يستحقُّ النظر!

تلتفتُ يمنةً...

تلتفتُ يسرةً...

ولا ترى!

تحاولُ أن تتذكّرَ في أيّ موقفٍ كنتَ

قبل أن تجدَ نفسَك هنا

ولا تخطرُ لكَ فكرةٌ

تمدُّ يدَك، ولا تمسكُ شيئًا

ترغبُ بالصراخِ بشدّة، ولكن لا صوتَ

تتوقَّفُ فقط

وتريدُ أن تشعرَ بشيءٍ، حتّى أن تخافَ...

لكن لا يوجدُ ما يستوجبُ الهلع

تفتحُ أذنيكَ جيّدًا، محاولةً لاستراقِ نداءٍ

ربَّما تعرفُ اسمَكَ من خلالِهِ

تتركُ بابَ قلبِك مواربًا، لعلَّ أحدًا ما يهمسُ فيكَ،

يخبرُك بأنَّك حيٌّ، ثمَّ يوخزُك، فيؤلمُك بشدّةٍ،

تودُّ لو يستمرُّ الوخزُ لكي تصدّقَ،

وتدركَ بأنّهُ ليس وهمًا،

لكنَّهُ لا أحدٌ

يريدُ أن يقتحمَك...

حتّى لأجلِ إيلامك!

تعيشُ في دائرةٍ لا لونَ لها،

تكرّرُ لياليكَ، وتختبرُ كلَّ يومٍ حواسَّكَ،

علّهم أطلقوا سراحَك

تصدّقُ كذبةَ أنَّكَ مسجونٌ في حياةٍ كبيرةٍ،

تسيرُ فيها عمرًا بأكملِهِ،

ولم تصطدمْ يومًا بقضبان!

تحاولُ أن تقبضَ على أيّ فكرةٍ،

تحاولُ...

وتحاولُ...

لكنَّه العدمُ يتمكّنُ منكَ عندما تتلفّتُ في الجوار

وترى الأشياءَ كلّها من حولِكَ...

ليس من بينها

ما يستحقُّ النظرَ إليهِ!

غضبٌ خافتٌ

يتوزَّعون على الاتجاهاتِ، وأبقى منكمشًا

أتطاولُ إليَّ؛ داخلي وجهتي الوحيدة

أكادُ أكذّبُ وجودَ العالمِ؛

لأنّني لا أشعرُ بهِ

ولأنّني منشغلٌ عن رؤيتِهِ بتفحّصِ ما فيَّ

كم أحبُّ أن أدقّقَ النظرَ في زاويةٍ ما،

في عينٍ ما، وأجدُني!

أراني في كل شيءٍ عدا المرآةِ،

أرى شخصًا مألوفًا، أحيانًا أعرفُهُ

وفي أحايينَ كثيرةٍ

لا أعرفُهُ!

الخارجُ بأكملِهِ غربةٌ،

كُلَّما أخرجتُ رأسي منّي،

ونظرتُ إليهِ، أشعرُ بالهلع

أحيانًا أمدُّ يدي كتجربةٍ، لملامستِهِ

فأرجعُها، كمن يتعرّضُ لصاعقٍ كهربائيّ!

ثمَّةَ ما أسعى لتخطّيهِ

أبكي بصوتٍ عالٍ، لا ليربِّتَ أحدُهم عليَّ،

ولكن... لعلّ أحدًا يسمعني

أصرخُ بأعلى صوتٍ داخليٍّ ممكنٍ،

أهيّئُ يدي مرّةً بعد أخرى،

أتقدّمُ بها، وأردُّها...

كأنّها مبلَّلةٌ

وكأنَّ تيَّارَ الخارجِ لا ينطفئُ!

لا أشعرُ بشيءٍ

سوى الكثيرِ من الغضبِ

لم أجرؤ على مدّ يدي

وأغضبُ؛ لأنّ لا أحدَ يمسكُها!

عن الحياتينِ

أتمهّلُ في المشيِ؛ لكيلا ينفدَ الوقتُ

قبل أن أجدَ الحياةَ

أتريّثُ دومًا؛ لكيلا يكونَ الطريقُ ممرًّا،

بل نجاةً!

أحبُّ ببطءٍ، وأرى الساعةَ على الحائطِ متأخرةً

وعقاربها لا تحاولُ اللّحاقَ...

فأحبّ التخلّي عن اللحظةِ الراهنة؛

لأتذوّقَ اللحظتينِ!

أخشى الوصولَ سريعًا

أخافُ بلوغَ المحطّةِ الأخيرةِ،

وما زال نفَسي مستمرًّا،

وهناك فراغاتٌ كثيفةٌ

لم تمتلئ بي...

لم أذقها!

أخافُ من الحدّ الأخيرِ

من وهجٍ داخلي

لا تُرضيهِ النهاياتُ الناقصةُ!

أخافُ الاكتفاءَ بواحدةٍ،

وفي كلّ عينٍ أرى ملامحَ مختلفةً،

وسماواتٍ مختلفةً،

وفي كلّ يدٍ أمسكُ بأناملَ مختلفةٍ،

وفي كلّ ثانيةٍ وأخرى أشمُّ رائحةً مختلفةً!

أخافُ أن أحبَّ نهايةً ما

وأُفلتُ من يديَّ...

الحياتينِ!

صَرْخةٌ

ألفتُ الهمسَ الذي لا يمكنُ

من على بعد خطوتينِ ..

سماعُه

حد أني أهتُف به

أنادي به

أعاتب به

أحدّث نفسي به

حد أني _ أيضًا_ ألتفتُ به!

على مهلٍ

أطلق عيني في الأرجاء

لكيلا تحدث ضجيجًا

يمكن سماعُه

ببطء أضع قدمي

على الأرض في كل خطوة

لكيلا تترك أثرًا

يمكن اتّباعه

بخلسةٍ أغرز كلمةً أنهكتني

دون أن أعيدها؛ لكيلا تصدر أنينًا

ولا تدميني

كان كل ما أردته

ألا يلتفت آخرُ لم أقصدهُ ..

لم أكن أريد أبدًا

ألّا يسمعني أحد!

نظرتُ همسًا

أحببتُ همسًا

ٱقتربتُ همسًا

غادرتُ همسًا

وتساءلتُ: لِمَ لا ألقى ترحيبًا؟

لِمَ لا يبذل الآخرون جهدًا لبقائي؟

ولِمَ لا أجد وداعًا؟!

وتجاهلتُ

أنني كنت وحدي

من يشعر بي!

عشتُ همسًا؛

حتى ٱمتلأتُ

بما أردتُ إفراغه

إنني مثقلٌ الآن

ولو أنني أطلقُ كل الهمسات من داخلي،

سواءً كانت متفرّقةً

كل همسةٍ على حِدة

كقطرات مطر متباعدة

أو مجتمعةً كدفقة سيل جارف

فلن أتخفّفُ أبدًا ..

ولن تكون كافيةً

لأتخلّص من الأعباء فيّ ..

بقدر ما ستفعله

صرخةٌ واحدة!

دنيا.. أقصرُ من كُمّي!

المستقبلُ نفقٌ مليءٌ بالأحذيةِ،

طولُهُ نصف قامتي،

وأنا تعلّمتُ المشيَ في بيتنا الطيني دون أن أحبو!

الوظائفُ مُلقاةٌ داخلَهُ كآثارِ أقدامٍ لا تنقطع،

وأمّي كانت تقولُ:

" الوحلُ أسفلَ قدمي،

إذا نكّستَ رأسَك يا ولدي، لا يُصبحُ جنّة! "

الحبُّ غايةٌ باهظةٌ،

كلّ الوسائلِ إليهِ أعجزُ عن تبريرِها.

الزمنُ مرآةٌ لا تعكسُ سوى الأرواحِ،

لا أراني فيها لأنّ روحي بعيدةٌ،

تنتظرني خلفَ النفق!

أستطيعُ أن أقطعَ الطريقَ إليها بكلمةٍ،

كلمةٍ لا أقولُها،

بل أتخلّى عنها

لكن أبي علّمني أن أتخلّى عمّا أملكُه كأقدامي،

وما لا أملكُه كروحي الطائرةِ بعيدًا عنّي،

عندَ وقوعي في بئرٍ فارغةٍ،

عند سقوطي لما تحتَ الأسفلِ...

علّمني أن أتخلّى عن كلّ الأشياءِ

عدا شرفي...

والكلمةُ شرفي...

حتى لو عشتُ بعيدًا عن روحي، أتأقلمُ

لكن لا يمكنني أن أبقى يومًا

من دونهِ!

الدنيا في عيني بنتٌ فاجرةٌ،

والأحلامُ خلاياها المتّقدةُ

ترمقُني بغنجٍ، وأتمنّع...

يسيلُ لعابي، لكي أذهبَ

لكنّ الريفيَّ الذي كبرتُ فيهِ،

لا يقبلُ أن يشاركَهُ أحدٌ رغبتَهُ،

لا يرضى إطلاقًا أن تخضعَ للتقييمِ فحولتُهُ

الدنيا التي لا تشبعُ، يمكنُها إروائي

وأن تدعوني لأشربَ من دمِها

وتشيرَ بكلِّ أصابعها،

لحلمي المفقودِ

لكن لا يمكنني أن أرجع طفلًا

حتّى لو جعتُ بشدَّة

وبكيتُ لوحدي

من الحاجةِ في جوفِ الليلِ

ولم ألقَ طعامًا، أو دفئًا حولي

أخجلُ أن أدعو اللهَ

بأن يمتلئَ فمي بحليبِ فتاةِ الليل!

تبرُّعًا!

وكأنَّ أحدَهم ٱستخدمَ حياتي

بطريقةٍ سيّئةٍ .. قبلي

فأتيتُ أنا؛ لأتلقى كلَّ ردّاتِ الأفعالِ!

*** ***

صلوني فورًا بأيِّ شخصٍ

يلفظُ أنفاسَهُ الأخيرةَ...

أريدُ التبرُّعَ

بحياتي!!

سأكونُ

سأكونُ بهجةً

حزنًا، أملًا، يأسًا..

سأكونُ طريقًا، طريقةً،

شعورًا ممكنًا، شبحًا،

شيئًا لا يمسُّ..

سأكونُ حرفًا، نزفًا،

نسمةً، غيمةً،

صاعقةً..

سأكونُ حدثًا،

فكرةً لم تُطبّقْ، عملًا لم يكتملْ..

سأكونُ جدارًا،

نافذةً من زجاجٍ،

مرآةً من ورقٍ..

طفلًا تعلَّمَ التقبيلَ قبلَ الضحكِ،

والكتابةَ قبلَ الحديثِ،

والصمتَ الطويلَ

قبل البكاءِ

سأكونُ رجلًا من هواءٍ،

وكتفًا من حديدٍ

سأكونُ قلبًا ينسى غايتَهُ،

ونصًّا يحاولُ دومًا التمرُّدَ على فكرتِهِ،

سأكونُ شيئًا آخرَ، عدا أن أكونَ أنا!

سأكونُ أيَّ فكرةٍ أخرى، ولكن

لن أكونَ أبدًا أنتَ!

معركةُ اليقين

أحتشدُ كُلّي

أهيّئُ كلّ قوايَ، وأتقدّمُ

كي لا أتركَ مجالًا

لغزوي واختراقي

أوصدُ كلَّ حصوني، وأقفُ وحدي

أحرسُ يقيني من كلّ الجهاتِ

أُغلقُ أُذني عن المخاوفِ،

وعينيّ عن أسوأِ الاحتمالاتِ

أرفضُ فكرةَ

أن أتركَ مهمّةَ حمايةِ إيماني لشيءٍ آخر...

أنا فقط من يتفرّغُ لحمايتي

أُسخّرُ كلّ جهودي؛

كي لا أفقدَ عرشَ اتزاني،

وأسقطَ

وذلك بعد أن أفشلَ في التصدّي لكلمةٍ...

كلمةٍ واحدةٍ كافيةٍ

أن تغرسَ الشكَّ

في داخلي!

رِيفيٌ

لم يكن يسعى خلفَ أمانيهِ،

ولم يضع أحلامًا نصبَ عينيهِ،

كانت كلّ أهدافِهِ أن يسيرَ

دون أن تجبرَهُ الغايةُ

أن يسلك طريقًا

لا يريدُهُ

ودون أن يسحبَهُ موجُ الوصولِ

إلى شطآن أخرى...

لم يردها!

كلُّ العوالمِ لم يأبه بها،

لم ينجرف نحوها،

لم يخفق قلبُهُ لعالمٍ ورديّ،

ولا روحُه لعالمٍ أبيض

كان يمكنُهُ أن يتوشّحَ عالمَ السواد،

لكن لم يملك من الأحزانِ،

ما يجعلُهُ يتخلّى عن ماهيّتهِ الطينيّةِ

تركَ كلّ العوالمِ المعلّقةِ على مدخلِ المدينةِ،

وبقيَ ريفيًّا غارقًا في الطينِ والماءِ،

عالقًا في عالمِهِ اللزِجِ!

أنا لا شيء...

مجرّدُ كذبةٍ

أنا الذئبُ الذي...

أكلَ يوسفَ!

أُفكّرُ

أُفكّرُ بالنصائحِ

التي ماتَ الآباءُ قبلَ أن يقولوها ..

بالشتائمِ

التي بقيت عالقةً

بعدَ اعتذارِ الطرفِ الآخر!

أفكّرُ بالأبناءِ الذين لم تنجبهم المرأةُ

التي أحبّت عقيمًا

وبالأشهرِ المتبقّيةِ

من أعمارِ الذين ماتوا قبل ولادتهم

أفكّرُ بالغيرةِ بين عاشقينِ قبل أن يتعارفا،

وبالقبلِ التي أفترقا قبلَ حدوثِها

أفكّرُ بالصراخِ الذي لم يستطع إطلاقَهُ

شخصٌ يحتضرُ،

وبأوَّلِ مايراهُ الميتُ بعد أن تغادرَ روحُهُ

أُفكّرُ بالغضبِ المؤجّلِ

الذي لم تتسنّ لهُ الفرصةُ أبدًا للظهورِ،

وبالحنانِ الذي ماتت الأمُّ

قبل أن تمنحَهُ لطفلِها اليتيم

أفكّرُ بمأوى الكلماتِ التي لم تجد أذنًا تعبرُها، وبوجهةِ التلويحاتِ التي أخطأت مسارَها،

وبالنداءاتِ التي طُبقت عليها الأفواهُ

بعد أن تهيّأت للانطلاقِ

أُفكّرُ بالنظراتِ التي لم تستطع رفعَ الأجفانِ

التي أنزلَها الخوفُ لتحدثَ...

وبخيبةِ الغرقى

بعد إدراكهم أنّ أكثرَ شيءٍ

كان يمدّهم بالحياةِ، قتلهم!

أفكّرُ بالمرّةِ الأولى التي يحنُّ طائرٌ فيها لقفصِهِ، وبالمرّةِ الأخيرةِ التي يتوقّفُ فيها السجينُ

عن التفكيرِ بإطلاقِ سراحِهِ...

أُفكّرُ بأكثرِ كلمةٍ يريد أن ينطقَها أبكمُ،

وبأكثرِ مشهدٍ يريدُ أن يراهُ أعمى،

وبأكثرِ نداءٍ يودُّ أن يسمعَهُ أصمُّ،

وبأكثرِ لحظةٍ يشعرُ بألفتِها المصابُ بالزهايمر!

أفكّرُ بالنصوصِ التي مازالت أفكارًا،

ولم يستطع الكاتبُ تدوينها،

وبحزنِ كلماتِ الأغنيةِ التي سقط "طلال مدّاح"

قبل إكمالِها...

أُفكّرُ بالضحكاتِ التي حبستها أخبارٌ سيّئة،

وبالأحلامِ التي لم يبلغها أحدٌ،

والأمنياتِ التي ظلّت بعيدةً،

والرجاءاتِ التي ماتت

في أفواهنا!

هذا اللاشيءُ، كيف يلدُ التساؤلاتِ؟

ما المصيرُ الذي ينتظرُهُ؟

ماذا عن "الذئبِ الذي أكلَ يوسفَ"...

كيف كانت ميتَتُهُ؟!!

مسافاتٌ لا نهائيّة

توقّفتُ عن المشي،

أريدُ الآنَ، أن أتعلّمَ الطيرانَ،

أو أن أتقنَ القفزَ الطويلَ،

أريدُ أن أصلَ دون أن أخوضَ الطريقَ!

سئمتُ المسافاتِ، سئمتُ الطرقَ التي تحملُني

إلى الوجهاتِ الخاطئةِ، أو تعيدُني إلى نفسِ المكانِ،

لقد أفنيتُ عمري محاولًا تجاوزَها،

ولا نيّةَ لي بالمحاولةِ مجددًا.

أينما أردتُ الذهابَ وجدتُ أمامي المسافةَ،

وكلّما أردتُ شيئًا كان عليّ أن أقطعَها،

هناك دائمًا مسافةٌ

بين الاستعدادِ والنطقِ،

بين الرغبةِ والتلويحِ،

بين النيّةِ والمغادرةِ،

بين التردّدِ والقرار.

أجدُ المسافةَ داخلي أيضًا،

وحتّى إلى نفسي، قطعتُ أشواطًا طويلةً

ولم أصل بعدُ ...

ٱقتربْ منّي ياصديقي،

لا أودُّ التحرّكَ، ولا أرغبُ بالسيرِ،

وثمّةَ شخصٌ ما بجانبي، أريدُ أن أقولَ لهُ شيئًا،

لكنّ هناك مسافة طويلة

بيني وبين البدء بالحديث.

إنّني أكونُ بالقربِ من الآخرينَ،

وكُلّما أردتُ الذهابَ إليهم،

وجدتُ مسافةً شاسعةً

تحولُ بيننا!

أنا بعيدٌ جدًّا،

وأشعرُ بأنّ قدري أن أتوهَ في المسافاتِ

قبل أن أبلغَ العالم!

إطارٌ فارغٌ

أُحدّقُ في الإطارِالمعلّقِ؛

فأرى طفلةً شقيّةً تضحكُ

أدقّقُ النظرَ في ملامحها؛

فأرى شابّةً خجولةً تبتسمُ

أُفركُ عيني، وأنظرُ مجدّدًا

فأجدُ امرأةً أنيقةً تمسكُ، بإحدى يديها، فستانَها

وتضعُ يدَها الأخرى على خصرِها..

أغمضُها، وأرى ثانيةً،

فتتراءى لي امرأةٌ عجوزٌ

تصوّبُ نظراتِها الحادّةَ نحوي

أضعُ كلتا يديّ على عينيّ بعدَ إغماضِهما،

وأرى ظلًّا قادمًا من بعيدٍ،

يكبرُ كلّما اقتربَ، ويتلوى...

تتوقّفُ أنفاسي،

ويبدأُ إيقاعُ دقّاتِ قلبي بالعلوّ،

فأرى الظلّ يتراقص!

أفتحُ عيني بفزعٍ،

وأنظرُ للإطارِ المعلّقِ،

ولا أرى شيئًا

أُمسكُ بعصايَ، وأكحُّ، وأمدّدُ قدمي

وأعيدُ النظرَ للإطارِ مجدّدًا

فأرى وجوهًا كثيرةً، كلّها أنتِ!

أراقبُكِ في الإطارِ الفارغِ،

تبدّدين وحدتي، وأنتِ تكبرين بجانبي عامًا بعد عام

قبل أن يتمكّنَ منكِ الهرم...

بعد أن يعجزَ عنكِ العدم...

ما ليسَ بمقدورِكَ أن تعيشَهُ!

أنتَ ستجيءُ، لا شكَّ

لكن هل الأمسُ سيأتي؟

هل الرصاصاتُ التي أطلقتها من فمِك ستعودُ؟

هل التلويحةُ ستتراجع؟

ستجيءُ أنتَ،

لكن ثمّةَ ما سيكونُ غائبًا أو بنصفِ حضورٍ،

ثمّةَ ما لن يجدَ يومًا يستقبلُهُ،

يومًا يتخلّى عن حاضرِهِ

ويتقبّلُ أن يكونَ ذكرى.

ستجيءُ

رُبَّما أو أكيد

ستجيءُ لا محالة،

ولو بهمسةٍ، ونصفِ ضحكةٍ،

ولو بكتفٍ واحدة ...

وبأعينٍ كثيرةٍ ترمقُ كلّ شيءٍ،

سترى كلّ شيءٍ عندما تجيءُ،

ولكن لن يكونَ كلّ ما تراهُ

بمقدورِك أن تعيشَهُ!

فشلٌ يتجدّدُ

أُفرغُ كلَّ ما في ذهني،

وأتركُ كلَّ ما في يديّ،

أنفضُ كلَّ الأعباءِ من عليّ

فكرةً...

فكرةً...

ذلكَ الغبارُ على الزجاجِ

أمسحُهُ جيّدًا

حتّى لا أملكَ نظرةً ضبابيّةً

وتلكَ المخاطرُ المعلّقةُ على المداخلِ

أجتازُها...

دون أن أفتحَ بابًا

هكذا أتخطّى رهبةَ الطرقِ

إلى أن أغدو على بُعدِ كلمةٍ أقولُها؛ فـأصِلُ...

أتردّدُ، وأتحفّزُ

أتخيّلُ أنّني لستُ هنا،

أتركُ فمي يتحدّثُ، وأهربُ...

ألّا أكونَ موجودًا

تلك طريقةٌ تناسبُني أكثرَ من أن أكونَ وحدي

أتهيّأُ، أشحذُ قوايَ كلّها أكثرَ من أيّ مرّةٍ سابقةٍ

أدفعُ الكلمةَ من داخلي حرفًا حرفًا

حتّى أتهالكَ قبلَ الحرفِ الأخيرِ...

وهكذا مثلَ كلّ مرّةٍ أفشلُ في الدخولِ،

وأبقى؛ لأراقبَ الحياةَ

من الخارج!

أقلّ قدرٍ من الألم!

منذُ طفولتي

وأنا أقتنعُ بالحصّةِ الأقلّ في كلّ شيءٍ

لا أُطالبُ، ولا أفتعلُ نزاعًا كالبقيّةِ

لغرضِ الحصولِ على العددِ الأكثر

من قطعِ الشوكولاتة

أو العملاتِ المعدنيّة

نشأتُ على هذهِ الوتيرةِ...

وحين كبرتُ

لم أحتمل هذه الأحزانَ، والآلامَ المتدافعةَ بكثرةٍ

أنا الآنَ، أُطالبُ بحقّي: أقلَّ قدرٍ من الألم!

ثباتٌ

تميلُ بي يدي،

تحاولُ أن تنفلتَ منّي،

وتلوّحَ بكلّ رغبتِها،

لكنّي

أقبضُها بشدّةٍ!

ترغبُ عيناياَ

أن تمسكَ بكِ، لتحاصرَكِ في زوايةٍ ما...

فأغمضُها!

تملأُ فمي كلمةٌ

تكادُ تخنقُني؛ لتتسرّبَ إليكِ...

فأكتمُها حتّى تفقدَ لهفتَها

وتتراجعَ!

أشدُّ همّتي أمامَكِ، أروّض اندفاعَ قلبي

لأُثبتَ لهُ أنّهُ لا يستطيعُ التدخّلَ بي

والتأثيرَعليَّ

حتّى وإن جعلَني أُفكّرُ بكِ

قبلَ كلّ خطوةٍ

حتّى وإن كلّفَني ذلكَ

أن أجاهدَ نفسي

للأبد...

أن تكونَ نصفًا!

في قلبكِ رجلٌ يبسطُ لكِ كفَّهُ كلّ وقتٍ،

وذلكَ لأنّ يدَهُ لا تتدخّلُ فيما يشعرُ بهِ

يُتيحُ كتفَهُ كلّ ليلةٍ،

لأنّهُ لا يستخدمُ كتفيهِ معًا،

فقد فضَّلَ الاكتفاءَ بواحدة،

واستغنى عن الأخرى

لأجلِكِ

في قلبِكِ رجلٌ

يجيئُكِ، كلّما همستِ بٱسمِهِ، قفزًا على قدمٍ واحدةٍ

بينما يسعى جاهدًا في حياةٍ أخرى

لا تعلمين عنها شيئًا،

بقدمِهِ الثانية

في قلبِكِ رجلٌ

أبقى أُذنًا تتجوّلُ في بيتِهِ،

كّلما علا صوتٌ؛ اتّجهتْ إليهِ

_تطلبُ أمُّهُ، تحكي جدّتُهُ، يأمرُ والدُهُ

يتّصلُ صديقُهُ، يعاتبُهُ أخوهُ،

ويبكي ٱبنُ أخِتهِ...إلخ_

ومن ثُمَّ تذهبُ إلى السوقِ

لتسمعَ البنادقَ، وأبواقَ السياراتِ...

حتّى تستلقي ليلًا على المخدَّةِ،

ولا تتوقّفُ تلكَ الأصواتُ

بينما أُذنُهُ الأخرى

بعدَ إغلاقِكِ للمكالمةِ الهاتفيّةِ،

تظلُّ تستمعُ لأنفاسِكِ

نفسًا...

نفسًا...

حتّى استيقاظكِ

في قلبكِ رجلٌ

ينظرُ للحياةِ بعينٍ، ويغمضُها حينَ ينامُ...

بينما تظلُّ عينُهُ الأخرى

عندما لا تفعلين شيئًا وتنامينَ

شاخصةً عليكِ، تحرسُكِ،

تتفحّصُ جسدَكِ

خليّةً...

خليّة...

في قلبكِ رجلٌ

يتساءلُ الآخرونَ عن صمتِهِ،

ولا يعرفُ أحدٌ مكانَ فمِهِ!

في قلبكِ رجلٌ

أحببتِهِ بكلّ جوارحكِ

بعدَ أن قمتِ بانتزاعِهِ منّي

بعينيكِ الجارفتين!

رجلٌ فرَّ منّي،

تاركًا إيّايَ أحاربُ الحياةَ

بنصفِ قوّةٍ

ونصفِ أملٍ

من دون قلبٍ وفم!

رجلٌ إذاما عادَ خائبًا ذات ليلةٍ،

سيقولُ لهُ

النصفُ منّي:

لتبقَ جرحًا بعيدًا وحدَكَ...

فقد فاتَ أوانُ

أن نلتحِمَ!

قطارٌ فائتٌ

كنتُ حريصًا

على البقاءِ في اللحظةِ،

في عيشِها، والغرقِ في شعورِها...

في عدمِ تركِها تفوتُ

كنتُ أريدُ أن أُجمِّدَ الزمنَ،

أو أن أتملّصَ منهُ، وأتركَهُ يمضي، ونبقى!

عشتُ مستعجلًا في كلّ شيءٍ،

ورأيتُ كم هي الحياةُ

رتيبةٌ وثقيلةٌ

وعندما رغبتُ للمرّةِ الأولى

بأن تكونَ بطيئةً...

رأيتُ قطارَ الحياةِ ينطلقُ بأقصى سرعةٍ مُمكنةٍ

تَشبَّثتُ باللحظةِ، تمسّكتُ بيدِكِ

كنتُ أعتقدُ بأنّي أمتلكُ القدرةَ على خلعِها،

لكنّي لم أُرِد أن أؤذيكِ

عجزتُ عن حملِكِ معي

بعد أن قفزتُ من القطارِ،

فمضَتِ اللحظةُ...

ومَضيتِ أنتِ...

ولم يعُدِ القطارُ في متناولِ النظر،

ومن يومِها

وأنا أحاولُ اللحاقَ بالحبّ والأمنياتِ،

بالأحلامِ والحياةِ،

بالركضِ حافيًا في سكَّةٍ حديديَّةٍ!

اللاشيءُ شعورٌ جيّدٌ!

أمسكُ قلمًا، وأكتبُ

"اللاشيءُ شعورٌ جيّد!"

على الأقلّ ليس ثمّةَ ما تبرّرُهُ،

ليس هناكَ ما ستتورّطُ بهِ

الحبُّ شعورٌ جيّدٌ كذلك،

لكن هناكَ دومًا ما تسعى لتبريرِهِ،

ما تورطتَ بهِ، أو ما أوشكتَ على التورُّطِ بهِ،

وحتّى ما لم تفكّرْ أبدًا في التورُّطِ بهِ،

تحذيرًا من أن تفكّرَ يومًا

في التورُّطِ بهِ

هل الحبُّ وحدَهُ فعلَ ذلك؟

لا، أعتقدُ بأنَّ العالمَ كلَّهُ يفعلُ

ترى مشكلةً، حادثاً...

تقرأُ خبرَ جريمةٍ، تسمعُ خطابًا حكوميًّا،

تعيشُ قصيدةً، فتبحثُ عن تبريرٍ ما...

تقلّبُهُ داخلَكَ ليبدوَ كلُّ شيءٍ منطقيّاً؛

بينما المنطقُ ألا تبرّرَ أبدًا،

وألّا تنتظرَ تبريرًا

أنا أكتبُ الآنَ،

ومن يقرأُ، سيحاولُ إيجادَ تبريرٍ لما أقولُ

إلّا شخصاً ما، سأتمنَّى لو أنّي أُبرّرُ لهُ

بأنّي لا أتحدّثُ عن نفسي

أتذكّرُ، وأمحو كلّ ما كتبتُ...

اللاشيءُ شعورٌ جيّدٌ!

رَتَابَةْ

أُفكّرُ بكَ

أنتَ أيُّها الهاربُ من اللّا مكان

المُتملِّصُ من الحضورِ،

والمكتفي بالوجودِ

في جسدِك!

أرى ملَلَ الهروبِ في عينيكَ

أفهمُ بُعدَكَ عن عالمٍ تسكنُ فيهِ

أسمعُ رغبتَكَ في أن تصرخَ وتستغيثَ

أشعرُ بتعبِ ألَّا تجدَ وجهةً تذهبُ إليها

وأعرفُ أنّكَ تغيبُ كثيرًا

دونَ داعٍ

وتحضرُ قليلًا

فقط؛ لتكسرَ رتابةَ الغيابِ!

إصغاءْ!

أؤدّي دورَ المستمعِ جيّدًا...

كما أتقنُ دورَ الشاردِ

وأستطيعُ أن أكونَ أخرسَ جدًّا

متى ما أردتُ..

أو كلَّما رأيتُ ما قبلَ الكلمةِ سورًا كبيرًا

عندما يتحدّثُ جسدٌ ما؛ أصغي إليهِ

عندما تنطقُ الأعينُ، البحارُ،

والهواءُ ما بينَ نافذتينِ، والجدرانُ، والمرايا...

أُصغي إليها جميعها

وعندما لا يتحدّثُ شيءٌ،

وينطفئُ الكونُ تمامًا...

أُصغي إليَّ!

حادثٌ مروّعٌ...

آصطدَمَ مُكتئبٌ بنصيحةٍ!

دونَ سَبَبٍ

لا أنتظرُ أسبابًا للكتابةِ

كما أنّني لا أريدُ سماعَ أسبابِ مغادرةِ أحدٍ،

ولا أنتظرُ أسبابًا لأرحلَ أو لأبقى...

أنا لا أعرفُ حتّى أسبابَ بقائي إلى الآن!

أبتسمُ دون سببٍ، وأشمتُ بجاهلٍ دون سببٍ، وأقاتلُ دون سببٍ، ودون أن أعرفَ

لأجلِ ماذا أقاتل!؟

لا أريدُ أبدًا معرفةَ ماهيّةِ الطريقِ

الذي أسلكُه لكي أواصلَ

أريدُ أن أتسكّع حائرًا دون سببٍ

أن أتعبَ، وأعودَ دون سببٍ

أن أتوقّفَ، وأمضي دون سببٍ

أن أسمعَ كوبليه محدّدًا من أغنيةٍ ما دون سببٍ

أن أعيدَ سماعَ جزءٍ منهُ مرّةً أخرى دون سببٍ

أن أركضَ مسرعًا نحو النافذةِ،

وأهتفُ، أصرخُ ،ألوّحُ،

وأضحكُ دون سببٍ

سئمتُ الأسبابَ، مللتُ الوسائلَ،

كرهتُ الغاياتِ والمسوّغاتِ والدوافعَ

سئمتُ القيامَ بالفظائع، والمحاسنِ لوجودِ سببٍ

أرغبُ بالتجرّدِ من الأسبابِ مهما كانت،

بمحوهِا ونسيانِها، وعدمِ العودةِ إليها حتّى الأبد

أريدُ أن أعيشَ بعبثيّةٍ، وأن أغادرَ بعبّثيةٍ،

وأن يكونَ مروري عبثيًّا، ووجودي عبثيًّا،

أريدُ أن أفعلَ كل شيءٍ دون سببٍ،

ولكن أوجدوا لي "بلدًا"

أستطيعُ الانتحارَ فيهِ

دون سببٍ!

ماراثونُ الحياةِ

يالَها من سرعةٍ

تلك التي يتحرّكُ بها العالمُ من حولي،

وأنا أقبعُ في مكاني

منذ زمنٍ طويل!

يالَهُ من هلعٍ

ذلك الذي يعتريني،

وأنا أرى الأشياءَ تكبرُ وتتغيّرُ،

بينما أنا أتضاءلُ وأتهيّأُ للانكماشِ!

لا أفهمُ شعوري، لكنّني أجدُ انعكاسي

في مرآةٍ جانبيّةٍ لسيّارةٍ قديمةٍ معطّلةٍ

ومركونةٍ بجانبِ منزلٍ أُعيدَ ترميمُهُ حديثًا

في شارعٍ ارتدى حلّةً جديدةً

مطرّزةً بالخضارِ نهارًا،

والأضواءِ ليلًا،

بينما هي لا تتحرّك!

أرى العالمَ يمشي، فأفهمُ بأنّي متوقّفٌ

وحين أتظاهرُ بالمشيِ، أجدُهُ يركضُ

فأفهمُ بأنَّ عليَّ البقاءَ متأخرًا لسنواتٍ

حتّى أستطيعَ الخروجَ من المأزقِ،

حتّى أتجاوزَ فكرةً تُحاصرُني منذ ستّ سنواتٍ،

بأنَّ عليَّ أن أحلمَ بما أستطيعُ تناولَهُ

وبأنَّ ماراثونَ الحياةِ لا يشبهُ سباقاتِ الطفولةِ

فليس لأنّني حافي القدمينِ؛

أستطيعُ أن أسبقَ العالمَ!

مُفخَّخٌ!

" 3 "

مرّت عدّةُ دقائقَ

بعد أن ٱبتعدَ عن الآخرينَ،

وٱنفردَ بنفسِهِ

والصمتُ يمدُّ لسانَهُ ساخرًا أمامَهُ،

لا صوتَ بالقربِ

لا خشخشةَ

لا همسَ

لا أنين

" 2 "

يتضخّمُ الشعورُ، يفيضُ من جسدِهِ، يُكبّلُ حركتَهُ

يجعلُهُ ينحني، وكأنّهُ لم يعد بوسعِهِ أن يستقيمَ،

والصمتُ يبتسمُ أمامَهُ

كسجَّانٍ فظٍّا!

" 1 "

سدَّ أُذنيهِ، طأطأَ رأسَهُ،

نظرَ للأرضِ بذعرٍ،

وتهيّأَ للكارثةِ

حبسَ أنفاسَهُ؛ ليعُمَّ الضجيجُ داخلَهُ...

" 0 "

وٱنفجرَ باكيًا!!

لا مَرئِيٌ

أَحبَّ الحياةَ، فأدارت ظهرَها لهُ

أعجبتهُ امرأةٌ، فأشاحت بنظرِها عنهُ

انتظرَ الحظَّ طويلًا،

مشى في كلّ الطرقاتِ ليعترضَهُ

حتّى أنّهُ في كلِّ منعطفٍ يمرّ بهِ

كان يصطدمُ بكتفِهُ أحدٌ...

ولم يلمح الحظَّ أبدًا

وقوفُه على السكّةِ الحديديّةِ

عند رؤيتِهِ للقطارِ

من بعيدٍ

كان آخرَ محاولاتِهِ للتأكّدِ من كونِهِ مرئيًّا!

طائشةٌ!

تجيءُ مُنطلقةً

عكس اتجاهِ الرياح

دون أن تؤخّرَ سرعتَها

تجيءُ بعد أن مرّت بمحاذاةِ فتاةٍ

غادرت المنزلَ هاربةً من صراخ عائليّ

تجيءُ بعد أن تأخّرت لحظةً

نجا منها بأعجوبةٍ طفلٌ عائدٌ للمنزل

بخطواتٍ متثاقلةٍ خوفًا من توبيخِ والدتِهِ

وخيزرانةِ والدِه

تجيءُ مُسرعةً

بعد أن ثقبت الأذنَ الأخرى لعجوزٍأصمّ،

ومرّت بسلامٍ دون أن تحدثَ زوبعة

تجيءُ بعد أن اخترقت جدارينِ

ونافذةً خشبيةً،

وبابًا من صمتٍ

لو كان مغلّقًا، لتهشّمَ!

تجيءُ

بعد أن تتجاوزَ كلّ شيءٍ...

وتستقرُّ في قلبي تمامًا؛

لينزفَ

وأسقطَ

كما لو أنّني

لم أسقطْ من قبل

تثقبُني

_ كما لو أنّها المرّةُ الأولى _

تلكَ الكلمةُ الطائشة!

أركضُ لأبقى!

لأنّ الوقوف ليس خياراً متاحاً

لمواصلة الحياة؛

أركضُ ..

لأنّ السير ببطء نهاية حتمية؛ أركضُ ..

لأنّ السير بسرعةٍ

ليس إلا تقديماً للنهاية؛

أركضُ ..

لأنّ الحياة أيضاً تركض؛ أركضُ ..

لأنّي أريد تسليم نفسي للنهاية

من أجل عقاب أقل؛

أركضُ ..

لأني أريد نقش الخاتمة بيدي؛ أركضُ ..

لأنّ بساطَ الأرض من تحتي

تجرّه الأقدار؛

أركضُ ..

لأن الحياة جهازُ جري؛ لا أملك إلّا أن أركضُ ..

أركضُ بشراهة،

أركضُ بإعياء،

أركض فارغاً

من أي رغبة

أركضُ في منامي، في حلمي،

في شرودي ..

أركض حين أغفو أيضاً

وحين لا أفعل شيئاً أبداً،

ولا أريد مواصلة الركض؛

أركضُ ..

لا أركضُ طمعاً في الوصولِ،

ولا أملاً بالتقدّمِ

أركضُ؛

لأبقى في مكاني.

كانتِ الحياةُ خشنةً... قبل أن ألمسَ يديكِ!

شَلّالٌ

ألمحُهُ يتدفّقُ

شلّالًا مُقبلًا في ليلةٍ مقمرة

أدققُ جيّدًا؛ فأراهُ مصبًّا يسيلُ ببطءٍ...

ويتموّج متّجهًا

إلى الأعلى!

أشاهدُهُ أمامي مرتخيًا بغزارةٍ

مُستفزًا شروديَ الذائب في قطراتهِ

كتلٍّ يمدُّ لسانَه؛ ليروي الصخورَ بهيجانهِ

مستلقيًا على جسدكِ، كأنَّكِ تلتحفين غيمة!

أراقبُ من ورائِك

والندى يتمشّى على وجهي

من طقسكِ الأشبهِ بهدوءِ ما بعد المطر

وأنتِ تسدلينَ شعرَكِ الغزير

على طول المدى...

أسفلَ ظهركِ!

رُبَّمَا

لربَّما في الأرضِ مساحةٌ جدباءُ شاخت

وهي تنتظرُ

لربَّما شارعٌ في المدينةِ يعوي،

وجدارٌ يتهاوى

وزاويةٌ مظلمةٌ تستغيثُ

ما كلُّ هذا العطش؟!

لربَّما لم يُدركِ النهرُ

جسدًا تعرّى لأجلِهِ، فٱنحرفَ...

ومازال يُلقي شهوتَهُ

في المصبّ!

لربَّما كنتُ عدمًا

لا يحسُّ إلَّا برعشةِ الأرضِ وقتَ الزلازلِ،

فلفظتُهُ دفقةٌ للوجودِ

لربَّما آن أن نلتقي!

لديها ثلاثةُ مُعجَبِينَ!

لديها ثلاثةُ مُعجبينَ

يُغازلُونها، يُرسلونَ لها الهدايا، ويَهتمّونَ بها...

وتأتي إليَّ!

ينتظرونَ الليلَ،

أحدُهم يتثاءبُ ويقاومُ النعاسَ،

آخر يكتبُ قصيدةً، وثالثٌ يرسمُ عينيها...

بينما هي جانبي!

لديها ثلاثةُ مُعجبينَ،

الأوّلُ يزيّنُ نفسَهُ لساعاتٍ قبل رؤيتِها،

والثاني ينشغلُ بربطةِ عنقِهِ كلّ يومٍ

والثالثُ يحرصُ على الظهورِ

بحلّةٍ جديدةٍ كاملةٍ

بين حينٍ وآخرَ

بينما أنا المتأخّرُ كلّ يومٍ

في البحثِ عن حذائي المتهالك والوحيد،

عندما تنتظرُني هي

بجوارِ المنزل...

ضحكتْ ذاتَ مرّةٍ

وقد كان الأوّلُ كاتبًا،

تغزَّلَ بضحكتِها في نصٍّ مدهشٍ

والثاني شاعرًا،

كتبَ قصيدةً كاملةً في وصفِها

والثالثُ رسّامًا،

تكفّلَ برسمِ وجهِها لحظةَ ضحكِها

وأنا الصامتُ هنا..

تَركتْهم ثلاثتهم، وجاءت إليّ!

تساءلوا: ماذا فعلتَ أنتَ؟

قلتُ:

أنتم تقدّسون بديعَ ضحكتِها،

إنَّما أنا .. أنا مَن يجعلها تضحك.

مخبأ!

تستطيعينَ إخفائي

كما تشائين، وكما تُجيدينَ

لكنّي أظلّ قلقًا من أن يطرقَ أحدٌ بابَكِ!

بإمكاني أن أتوارى خلفكِ تمامًا

أن أكون بعيدًا عن كلّ الأعينِ من حولِكِ

لكن ليسَ بإمكانِكِ السيطرة على عينيكِ من البوحِ

لستِ قادرةً على جعلِ فمِكِ

يكفُّ عن الابتسام

سأختبئُ جيّدًا فيكِ

لكن إلى أيّ مدىً، يُمكنُكِ احتوائي؟

لا أعرفُ...

قلبُك مخبأٌ جيّدٌ، لكنّهُ ليسَ آمنًا!

تحسّنٌ

أشعرُ بتحسّنٍ واضحٍ،

اليومَ لم تعد فكرةُ أن نتوقّفَ تحاصرُني

كما كانت بالأمس

لم أستيقظ على الكابوسِ نفسِهِ

الذي أجدُني فيهِ

أراقبُني،

وأنا أرفضُ القولَ والنظرَ والمشيَ

وأُراقبُكِ،

وأنتِ ترفضينَ السماعَ والالتفاتَ والتوقّفَ

اليومَ لم أقرّر

أن أتخطّى نفسي؛ لأكونَ معكِ

بل أن أصطحبَكِ

أنتِ، وأنا..

وأتبعكما!

يا أنتِ

يا أنتِ...

أيّتُها البعيدةُ عن حدّ الصوتِ،

والقريبةُ من منبعِ الصدى

يا أنتِ...

أيّتُها الواقفةُ على العينِ،

والمتواريةُ تمامًا

خلفَ الجفنِ

أنتِ العائدةُ دومًا

إلى كلّ ما هو محيطٌ بي

الرافضةُ أبدًا لفكرةِ الرحيلِ

عن كلّ ما هو قريبٌ منّي

يا أنتِ

التي تحبُّ دومًا

أن تكونَ بجانبي

أتعطَّشُ

أن تكوني فيّ!

تعالي

تعالي...

وقولي بأنّ ما حدثَ كان كذبةً

قولي بأنّكِ لم تختاري التخلّي،

ولم تديري ظهرَكِ، ولم تنوي الرحيل

قولي بأنّكِ اضطررتِ أن تخبّئي

وجهَك من شمسِ ٱندفاعي

حتّى يحينَ غروبُها

وأنّكِ خفتِ على وجهِك المُضيءِ

من ٱسمرارِ اللهفة

وأنّ حقائبَكِ أرادت مرافقتَكِ

حتّى لا يصيبها صدأُ الحنينِ

أو حتّى قفي صامتةً،

ودعي لقلبي الحديثَ نيابةً عنكِ

تعالي، دون الحاجةِ لأيّ تبريرٍ

فقط يكفي أن تقفي أمامي،

يكفي أن يسعَ خدُّكِ يدي،

أن يلمسَ وجهُكِ وجهي،

وسأدمعُ نيابةً عنكِ،

وسأندمُ نيابةً عنكِ،

وسأصدّق ذلكَ

رغمًا عنكِ!

بكاء مؤجل

أردت تجربة البكاء

بصوت عالٍ

عالٍ جدًا

حدّ أني أستطيع سماعه من مكاني

دون الحاجة لإغماض عينيّ ..

دون الحاجة لسد أذنيّ ..

أردت أن أبكي

أن أنحُبَ، أن أشهقَ

لكن صوتي السائل هدرًا

في النداءاتِ

والدعواتِ

صوتي المتلاشي في الظلماتِ

لم يعد واضحًا

بما يكفي

للبكاء

أعطش لأيّام

يسيل منها صفاؤكِ أمامي،

ولا ينضب

وللحظات

كان نبع ضحكتكِ الغزير

يفيض أكثر مما تحتمل رئتي؛

لتقاومَ

أشعر بلهفة أبدية

لمجرى تنطلق فيه عيناك إلى ما بعد المدى ..

لمجرى أرغب بالوقوف فيهِ

فكل الأعين حين تراني،

لا أدفأ

وحين تغض الطرف،

لا أبردُ

إلا عيونكِ

أقف أمام عمق نظراتها مرتجفًا،

ولا أريد أن أدفأ

أشعر بجفاف في روحي

يتسرّب منها إلى جسدي

جفاف أعجز

عن السيطرة عليه؛

ما لم أرتشف أحاديثكِ

ما لم أتذوق كلمات سائلة من فمك الرطب

ما لم أسمع حكايات مبهمةٍ،

ليرتوي وضوحي!

ما لم أسمع منكِ

نصف كلمة حزينة ..

وأبكي!

لا وصول!

أيا جبلًا

لم تطأ قدمٌ تربته لتكون طريقًا

يا طودًا عاليًا، يا قمّة خامة

لم تبلغها الأنفاس

ولم تبللها سوى الأمطار، والندى الشتوي..

تتشبّث أطرافي بمنحدراتها،

تعلق أقدامي في أنحائها

ولساني يلهثُ في ذرّاتها

وأنا أسير إليها فردًا منقسمًا ..

أصعدُ مُعتصَرًا

عرقي مختلط بلعابي ..

وأجدني تامًا فيها

ملتئمًا بما أهدرته منّي الطريقانِ

أيا جبلًا

تبيت السماوات ساكنة أسفل كتفيه

وتختبئ الغيمات خجلاً في كفيّه

وتضيء النجمات من هالاتٍ

أسفل عينيه

أيا قمة

أشرب ما فاض من جداولها، وأعطش أكثر

أرش مياهها على وجنتيّ، على رئتيّ

على كل ما لا ينتبهُ فيّ ...

وأشردُ أكثرا!

ألّا أسأل

أكرهُ الأسئلةَ بشدّة،

أتحاشى قولَها بقدرِ ما أستطيع...

حين تطرأُ لي فكرةُ سؤالٍ ما،

أُقلّبُها ذاتَ اليمينِ

وذاتَ الشمالِ

أُبعدُ علامةَ الاستفهامِ عنها

أحذفُ كلمةً،

وأضيفُ أخرى

أجعلُها جملةً عاديّةً،

وقد تكونُ مطلسمةً أحيانًا

المهمُّ ألّا تكونَ سؤالًا أبدًا...

والكارثةُ، كلُّ الكارثةِ

أنّني أنتظرُ

الإجابةَ!

آهٍ...

كم أرغبُ الآنَ،

بالتعرّفِ على ذاتي في تصوّرِكِ

كم أتلهّفُ الآنَ،

لرؤيةِ وجهي لامعًا في عينيكِ

كم أتعطّشُ الآنَ،

لتحريكِ شفتيكِ من أجلِ كلمةٍ

يُحييني سماعُها

لكنّني، ورغمَ كلّ شيءٍ

لن أقولَ لكِ: هل مررتُ على بالِكِ هذه الليلة؟

ولن أقولَ: أليسَ لكِ مكانٌ آخر

غيرعقلي تذهبينَ إليهِ؟

بل سأقول: إنّكِ بطريقةٍ ما،

تجعلينَ عقلي أذكى من المعتادِ

لن أسألَكِ: أتفتقدينني؟

سأقولُ: أفتقدُكِ.

لن أَسألَكِ: أتحبّينني؟

بل سأقولُ: أحبُّكِ.

وأنتظر...

أن تحتويكِ عيوني

مملٌّ هذا الطريقُ الذي أقطعُهُ دومًا،

أشجارُهُ تكادُ تكونُ بلاستيكيّةً، لفرطِ جمودِهِ!

إنّها لا تزهرُ حتّى،

ولا تقتربُ منها العصافيرُ،

لا طيورَ تحومُ بالقربِ منها

سوى الغربانِ التي تتعلّقُ بأغصانِها

كلّما خيّمَ المساءُ دونَ رغبةٍ،

كمعتقلينَ عائدينَ

-كراهية-

إلى زنازينهم!

طريقٌ دونَ رائحةٍ، ودون حياةٍ

بيوتُهُ أشبهُ بالخرابات،

وأرصفتُهُ خاليةٌ من المارّةِ والشحَّاذينَ،

ومُتسوّلي العاطفةِ

الكلابُ فيهِ مكتئبة

ولا ترغبُ بالنباحِ،

لا يمكنني العبثُ معها، ولا الركضُ من أمامِها،

لا يمكنني فيهِ سماعَ صوتٍ آخرَ

سوى أبواقِ السياراتِ،

الصوتُ الذي لا ينقطعُ كالطنين

الطريقُ الذي لم أخطُ بقدمي فيهِ أبدًا،

ولكنّي أقطعُهُ كل يومٍ بروحي،

ذهابًا... وإيابًا

وبينما أجدُ العديدَ من الطرقِ الأخرى،

لا أتردّدُ في اختيارِهِ

رتيبٌ هذا الطريقُ، وعداهُ لا طرقَ أخوضُها،

وكأنَّهُ الوحيدُ المتاحُ

الأمرُ أشبهُ بألعابِ السباقِ،

كلُّ الطرقِ فيها غير مجانيّة،

سوى طريقٍ واحدٍ،

وأنا المتسابقُ الذي لا يملكُ أيَّ بطاقةٍ للشراءِ

بحماسةٍ أقطعُ أصعبَ الطرقِ، وأكثرَها رتابةً

أصرُّ على خوضِها،

على الرغمِ من أنّهَ يمكنني الوقوف،

إلّا أنّني لا أستطيعُ كبحَ رغبتي بالاقترابِ منكِ،

وتقليصِ فجوة الأقدارِ بيننا،

أنتِ البعيدةُ جدًّا، العاليةُ كالغيمِ،

والشحيحةُ في التساقطِ

وأنا الذي تركتُ مظلَّة أحلامي ورائي،

وسرتُ مجرّدًا منها،

لا أريدُ بلوغَكِ، ولا الوقوفَ أمامَكِ

لا أريدُ أن أكونَ بحاجةٍ لفتحِ عيني لرؤيتِك،

بل بإغماضِها...

هكذا أشعرُ بقربِكِ،

بتساقطِكِ على وجنتيَّ،

وأحسُّ بكِ

قطرةً ... قطرةً

إنَّها طريقتي في الحبِّ،

ألّا تراكِ عيوني، بل تحتويكِ!

في انتظارك

لأنكِ لا تجيئين؛

لا يعني أن أتوقّف عن انتظارك ..

يكفي أن أغيّر الطريقة

لأنك لا تتقدّمين خطوة واحدة،

أنا لا أزحف إلى الوراء

بل أظلّ مائلاً جداً

أميلُ إلى أن أكون على وشك السقوط تجاهكِ ..

في انتظاركِ

أتخلّصُ من اللحظة التي تتلبّسني

وأتقمّص لحظة عاطفةٍ من أقصى الليل

وأومض في سمائك بغتةً؛ لا لأنبئ بعاصفة

وإنما لألمس عنق ليلكِ

بأنفاسٍ لم أستطع كبحها ..

في انتظاركِ

أكون بعيدًا مهما اقتربتُ، أو اقتربتِ ..

أكون غائبًا، مهما حضرتُ

ووحيدًا مهما حضرتِ

في ليلي الشفّافِ

كقطعةٍ لا تسترُ

لهفي

في انتظارك

مهما توقّفتُ، يثور فيّ المتبقّي من عطركِ

ليلة انتشاء كأسيك الزجاجيين بما مرّ منّي

وأنهي كل المسافة في لحظة واحدة

وأترك كل اللحظات خلفي

بخطوة واحدة

لأصل بنزق لا يسعه الوقوف

وبشوق صعب لا يريد الخطو من الباب

فأفتحي نافذتكِ قليلًا

بما يكفي؛ ليضيءَ جدارُك

أنا في انتظارك ..

إكسيرُ حياة

لا الأملُ

يستطيعُ أن يحدّدَ أين أضعُ خطوتي القادمةَ،

ولا اليأسُ كذلكَ

ليس الحلمُ

من يرسمُ طريقي، ويحدّدُ وجهتي

بإمكاني السعيُ والعملُ

والاستمرارُ دون وجهةٍ

أجيءُ، وأذهبُ

وأنا أقبعُ في مكاني

وأكونُ سعيدًا مطمئنًّا،

لا ألاحق طيفًا، ولا أطاردُ وهمًا

الحياةُ تتّسعُ للجميعِ

من يحلمُ، ومن لايحلمُ

تدفعُ الجميعَ

من يريد بشدَّةٍ،

ومن يمشي معها

دون أن يعرفَ إلى أين يتّجه

وأنا لا أعرفُ إلى أين أتّجهُ الآنَ

دون حلمٍ، ودون أمل

لكنّي أحسُّ بأنّني آمنٌ،

وبأنَّ كلّ خطوةٍ أقطعُها صحيحةٌ،

وبأنّني أملكُ كلّ ما أريدُهُ،

وبأنَّ يدَكِ الممسكةَ بيدي هي الطريق،

وأنّ عينيكِ هما الدليلُ،

وحضنَكِ هو الوجهةُ

ليست وجهة أسعى إليها،

بل وجهة تسعى معي،

أينما توقفتُ،

كنتِ فيها

وجهة تتّسعُ لي، ترحّبُ بي،

تقتربُ منّي، تحلُّ فيَّ

وعداها لستُ بحاجةٍ للذهابِ إلى مكانٍ آخر

لأنّني بها أصلُ في كلّ الأمكنةِ

أحدُهم يحتاجُ أملًا،

وآخرُ يحتاجُ حُلمًا،

وأنا أحتاجُ حبَّكِ

كي أعيشَ!

فُرصَةٌ فقط!

امنحيهِ فرصةً

ليقولَ بأنّهُ حينَ أدارَ ظهرَهُ عنكِ

كان يريدُ أن يغلقَ كلّ الأبوابَ من خلفِهِ،

ليبقى معكِ طوالَ العمرِ

على انفرادٍ...

لكنّهُ لم يتوقّع أن يجدَ أبوابًا كثيرة!

امنيحهِ فرصةً

ليشرحَ لانتظارِكِ

أنّ كلّ خطوةٍ تراجعَ بها للوراءِ

كانت تعني قفزةً للأمامِ!

ولأنّهُ أرادَكِ أكثرَ من كلّ شيءٍ

لم يقاوم حماستَهُ،

وتراجعَ كثيرًا...

كثيرًا...

كثيرًا بما يكفي لكي يستطيع بلوغَكِ

دون عوائقَ!

أمنحيهِ مجالًا، ليتقدّمَ تجاهَكِ

ليستعيدَ قواهُ شيئًا فشيئًا، وأنتِ أمامَهُ

ليبرهنَ أنَّهُ ما زالَ راغبًا بأن يلتقطَكِ،

بأن يكونَ أرضًا شاسعةً

تتّسعُ لتساقطِكِ عليهِ

بأن يكونَ صدرًا

يواصلُ السيرَ

يواصلُ الحبَّ

يواصلُ المجيءَ

مختنقًا بدخانِكِ!

أمنحيهِ وقتًا، ليلتقطَ أنفاسَهُ

أمنحيهِ كتفًا، فقد عاد منهكًا جدًّا

أمنحيهِ دفئًا، فقد صار جسدًا خاويًا

يمزّقُهُ الهواءُ،

وترتجفُ أطرافَهُ

كُلّما اصطدمَ بهِ النسيمُ!

أمنحيهِ نظرةً

ليدركَ بأنّهُ قد نجا أخيرًا

من الجحيمِ

أمنحيهِ عناقًا، ليعودَ حيًّا

وتحسّسي كتفَكِ

على مهلٍ،

حينَها

سيُخبرُكِ البللُ بكلّ شيءٍ

وتحسّسي كتفَهُ إن أردتِ

وقرّري بعدَها

إذا ما كانت

هنالك حاجةٌ لكي تسمعيهِ...

شتاءٌ أبديّ

هناكَ من يتبعُكِ دائمًا

حين تمشينَ، يكونُ وراءَكِ

حين تلتفتينَ، ترينَهُ يتطاولُ بظلّهِ

حين تقفينَ، يتوقّفُ القلقُ من خلفِك،

أنّ أحدًا ما يلاحقُكِ، ولا تسمعينَ إلّا لهاثًا

هناكَ من لم يخترْ طريقَهُ،

ولا يشعرُ أبدًا

بأنّهُ تائهٌ!

هناكَ من لا يرغبُ بأن يقطعَ هذا العمرَ وحيدًا

دون أن يقتفي أثرًا،

أو يلاحقَ حياةً

لا يعرفُ أين ستصلُ بهِ

هناكَ من آختارَ أن ينسلخَ عن حياتِهِ

دون أن يتركَ منها شيئًا

ليعودَ إليهِ، إذا ما أرادَ...

هناكَ من ينتظرُ دومًا

أن تخرجي من خلوتِكِ،

وأن تتركي نصفَ سريرِكِ فارغًا

من لا يطرقُ بابَكِ أبدًا

في المساءِ

هناكَ

مَن كلُّ عمرِهِ شتاء!

حافّةُ النصّ

منذُ البدايةِ

وأنتِ تقرّرين كلّ خطوةٍ

منذُ أن بدوتِ

خارجةً عن المألوفِ

وبعيدةً عن التصديقِ

وعصيّةً على أن تلتقطكِ النظرةُ

وأنا أتّبعُك

محاولًا أن أراكِ كلّكِ،

أن أتعرّف على معناكِ كلّه،

وأعجزُ

لم يكن في وسعي إلّا أن أحبَّ رائحتَكِ

قبل انسكابِ عطركِ، وبعد...

أن أحبَّ هالتكِ في المكانِ،

تلك الدقائقَ وقتَ حديثِكِ، وتلك الثواني بعدَهُ...

وذلك الصمتَ داخلي

قبل أن أفيقَ وأصحو

من سكرةِ ضحكاتِكِ

حديثِكِ، صمتِكِ،

سماعِكِ...

سرتُ طويلًا بعدَكِ

ركضتُ كثيرًا خلفَكِ

لم يكن في وسعي إلا ٱتّباعُكِ

قبلَ اكتشافِك، وبعد...

قبل التعرّفِ على معناكِ، وبعد...

كتبتِ كلّ كلمةٍ، وقرأتُ بعدَكِ

صغتِ النصَّ

إلى ما قبلَ نهايتِهِ

وصفّقتُ لكِ بحرارةٍ

والآن، اتركيني

_ وللمرَّةِ الأولى _

أقاطعُ سطوَكِ، وأضعُ حبرَكِ جانبًا

اتركيني،

بعدَ أن تركتُ لكِ كل شيءٍ لتكتبيهِ،

أقفُ على حافّةِ النصّ

وأشردُ في اللا نهاية!

1. الغلاف
2. 2
3. يُحَاوِلُ التّوَازُنَ عَلَى أيَّامٍ تَتَرَنَّحُ!
4. وحيدٌ... ونافذةٌ وحيدة!
5. دَاخلي لا يَسعُنِي!
6. أُريدُكِ!
7. تقلّصٌ
8. ضِدَّانِ!
9. مسافات غير مضمونة
10. سوادٌ
11. صَرْخةٌ
12. دنيا.. أقصرُ من كُمّي!
13. معركةُ اليقين
14. مسافاتٌ لا نهائيّة
15. ما ليسَ بمقدورِكَ أن تعيشَهُ!
16. فشلٌ يتجدّدُ
17. أقلّ قدرٍ من الألم!
18. ثباتٌ
19. أن تكونَ نصفًا!
20. قطارٌ فائتٌ
21. حادثٌ مروّعٌ...
22. دونَ سَبَبٍ
23. لا مَرئيٌّ
24. كانتِ الحياةُ خشنةً... قبل أن ألمسَ يديكِ!

25. شَلّالٌ
26. مخبأ!
27. بكاء مؤجل
28. لا وصول!
29. ألّا أسأل
30. في انتظارك
31. حافَّةُ النصّ